سورة قريش

١١٣- قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾

القراءة: اختلف القراء في قوله تعالى: " لإيلاف قريش (١) إيلافهم رحلة الشتاء والصيف". فقرأ ابن عامر " لإلافِ " يقصرها، بغير ياء بعد الهمزة، مثل " لعلاف ". " إيلافهم " يجعل بعد الهمزة ياءً، خلاف اللفظة الأولى ، وقرأ أبو جعفر بياء ساكنة من غير همز، وذلك أنه لما أبدل الثانية ياء حذف الأولى من غير قياس. وروى حماد بن أحمد عن الشموني، بهمزتين مخففتين، الأولى: مكسورة، والثانية: ساكنة على وزن " لِعلاف ".

وقرأ الجمهور: ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم، وحمزة، والكسائي: " لإيلاف قريش إيلافهم ". وقال غير أحمد: روى القائم الخيّاط عن الشمّوني، عن الأعشى، عن أبى بكر، عن عاصم: " لإيلاف قريش " مثل حمزة " إِيلافِهِم " بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء. إلا أن أبا جعفر، وابن فليح عن ابن كثير، والوليد بن عتبة عن ابن عامر، والتغلبي عن ابن ذكوان، قرؤوا: " إيلافهم " بهمزة مكسورة بلا ياء بعدها مثل علافهم، كقراءة ابن عامر في الأولى، فهو مصدر " ألف " ثلاثياً والباقون بالهمزة وياء ساكنة بعدها، فكلهم على إثبات الياء في الثاني غير أبي جعفر. وقال أبو حيان: وقرأ أبو جعفر فيما حكى الزمخشري " لإلف قريش ". وقرأ

عكرمة " ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف ". وقال أبو حيان أيضاً، والصحيح رجوع عاصم عن الهمزة الثانية في " إيلافهم " وأنه قرأ كالجماعة، وقرأ أبو جعفر فيما حكى ابن عطية " إلْفهم " بلام ساكنة، قال الشاعر :

٧٧- زَعَمْتُمْ أَنَّ إخْوَتَكُمْ قُرَيْشاً

لَهُم إلْفٌ ولَيْسَ لَكُم إلاَفُ [١]

جمع بين مصدري ألف الثلاثة. وعن أبي جعفر أيضاً، وابن عامر " إلا فهم " على وزن فعال. وعن أبي جعفر، وابن كثير " الفَهِم " على وزن فعل، وبذلك قرأ عكرمة، وعن أبي جعفر أيضاً " ليْلاف " بياء ساكنة بعد اللام اتبع لما أبدل الثانية ياء، حذف الأولى حذفاً على غير قياس. وعن عكرمة " ليَأْلَف قريش " وعنه أيضاً " لتأْلَفْ قريش " على الأمر، وعنه وعن هلال بن فتيان بفتح لام الأمر. وروى الخزاعي عن ابن فليح، وأبان بن تغلب عن عاصم " إلفهم " بسكون اللام أيضاً [٢]. وروى ابن خالويه أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ: " ويلُ أمّكم قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف " [٣]. وقال السيوطي: وأخرج الفريابي، وابن جرير، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، عن أسماء بنت يزيد، قالت: سمعت رسول الله، صلى الله عليه

---

(١) البيت في : خزانة الأداب جـ١١/٤١٩/٤٢٠ ، ونسبه لمساور العبسي ، وهو : مساور بن هند بن قيس ابن زهير العبسي ، شاعر شريف فارس مخضرم إسلامي ، وذكره الزمخشري في الكشاف جـ٤/٧٩٦ ، والقرطبي في تفسيره جـ٢٢/٤٩٧ .

(٢) انظر : السبعة ص : ٦٩٨ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٦ / ٤٤٤ ، والكشف جـ ٢ / ٣٨٩ / ٣٩٠ ، والكشاف جـ ٤ / ٨٠١ / ٨٠٢ ، وتفسير البحر المحيط جـ ٨ / ٥١٤ ، ٤١٥ ، والمحرر الوجيز جـ ٥ / ٥٢٥ ، والتيسير ص : ١٨٢ ، والكنز في القراءات العشر ص : ٢٦٨ ، وإعراب القراءات الشواذ جـ ٢ / ٧٤٧ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ٦٣١ ، وزاد المسير جـ ٩ / ٢٣٨ ، والتبصرة في القراءات ص ٣٩٠ ، وفتح القدير جـ ٨ / ٧٣٠ .

(٣) انظر : مختصر شواذ القراء لابن خالويه ص : ١٨٠ .

وسلم، يقول: ويل أمكم يا قريش: " لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف"[٤]. وقال الحاكم: حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا أبو علي الحنفي، ثنا عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، رضي الله عنها، قالت: سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، يقرأ: " لإيلاف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف ". قال الحاكم: هذا حديث غريب عال في هذا الباب، والشيخان لا يحتجان بشهر بن حوشب [٥]ووافقه الذهبي. وقال ابن جرير: اختلف القراء في قراءة " لإيلاف قريش إيلافهم " فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار بياء بعد همز لإيلاف وإيلافهم، سوى أبي جعفر، فإنه وافق غيره في قوله " لإيلاف " فقرأه بياء بعد همزة واختلف عنه في قوله " إيلافهم " فروى عنه أنه كان يقرأ " إلْفِهِم " على أنه مصدر من ألف بألف إلفاً بغير ياء، وحكى بعضهم عنه أنه كان يقرأه " إلا فِهِم " بغير ياء مقصور الألف. وروى ابن جرير بسنده أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قرأ " إلْفَهُمْ رحلة الشتاء والصيف " [٦].

التوجيه والتفسير: وحجة من قرأ: " لإلاف " بغير ياء بعد الهمزة، على وزن "فِعال " مصدر ألف ثلاثياً، يقال: ألف الرجل الأمر ألفاً وإلافاً، وآلفه غيره إياه إيلافاً، وقد يأتي أَلِفَ متعدياً لواحد كألف، قال الشاعر:

٧٨- مِنَ الْمُؤلفَاتِ الرَّمْل أَدْمَاء حَرَّة

شُعَاعُ الْضحَى فِي مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ[٧]

---

(٤) انظر : الدر المنثور جـ ٦ / ٦٧٧ .

(٥) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده جـ ٢ / ٢٥٦ ، والدوري في جزئه ص: ١٧٨ رقم ١٣٣ .

(٦) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ٣٠ / ٣٩٣ / ٣٩٤ .

(٧) البيت لذي الرمة وهو في ديوانه ص : ٨٠ ، ومقاييس اللغة جـ١/ ١٣١ ونسبه لذي الرمة ، وتهذيب اللغة جـ١٥/ ٣٧٨ ، ولسان العرب جـ١/ ١٣٣ مادة ألف ، والحجة لأبي علي جـ٤/ ١٤٦ والبحر=

وحجة من قرأ " لإيلاف قريش " بياء بعد الهمزة، جعلوه مصدراً آلف رباعياً، وهما لغتان. يقال: ألفت كذا، وآلفت كذا. وكل القُرّاء قرؤوا الثاني بياء بعد الهمزة، على أنه مصدر " آلفت " فكأن ابن عامر جمع بين اللغتين في الكلمتين، كما قال تعالى: " فمَهِّل الكافرين أَمهِلهْمُ " [سورة الطارق / ١٧]، فجمع بين اللغتين؛ لأنه يقال: مهَّل وأَمهل بمعنى، وكذلك يقال: ألفت كذا، وآلفت كذا، بمعنى: والإلف، والإلاف، مصدر ألِفَ، والإيلاف مصدر آلف. أما قراءة عاصم بهمزتين فيهما الثانية ساكنة، قال أبو علي الفارسي: أما ما كان يقرؤه عاصم من تحقيق الهمزتين فى لإيلافِ " ؛ فلم يكن له وجه، ألا ترى أنّا لم نعلم أحداً حقّق الهمزة في نحو هذا، ولو جاز هذا لجاز في الإيمان، والإيمار: الإئمانُ، والإئمار، إذا أردت مصدر آمنَ وآمَرَ ولجاز أأدم، وأأدر. ومثل ذلك في البعد ما روى عن من طريق الأعشى عن أبي بكر: "إإيلافهم " فإن ذلك أبعد من الأول لأنه حقّق الهمزتين، وألحق ياءً، ولا مذهب لها، ولا وجه في قوله " إإيلافهم ". ألا ترى أن الهمزة الأولى هي همزة الأفعال الزائدة، والثانية التي هي فاء الفعل من ألِفَ، فالياء لا وجه لها، لأن بعد الهمزة التي هي الفاء ينبغي أن تكون اللام التي هي العين من أَلِفٍ وإلاَفٍ، فالياء لا مذهب لها إلا على شيء لم نَعلمْه، أُخِذ به في القراءة، وهو أن يشبع الكسرة فيزيد ياء، أو الضمة فيتبعُها واواً، أو الضمة ألفاً، فمن زيادة الياء قوله :

أو من بني عامر الحُمر الجُلاعيدِ[٨]

وواحدهم زعموا: جلعدٌ

=المحيط جـ٨/ ٥١٤ ، والدر المصون جـ٦/ ٥٧٢ رقم ٤٦٥٤ ، والمحرر الوجيز جـ٥/ ٥٢٥ وروح المعاني جـ٣٠/ ٢٣٨ .

(٨) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي جـ٤/ ١٤٧ .

وقال أبو حيان: وقراءة عاصم هذا شاذة. وأما قراءة أبي جعفر وابن عامر " إلا فهم " على وزن فعال، وعن أبي جعفر، وابن كثير " الفَهِم " على وزن فعل. وعن أبي جعفر أيضاً " ليْلاف " بياء ساكنة بعد اللام اتبع لما أبدل الثانية ياء حذف الأولى حذفاً على غير قياس، وعن عكرمة " ليَأْلَف قريش " وعنه أيضاً " لتَأْلَفْ قريش " على الأمر، وعنه وعن هلال بن فتيان بفتح لام الأمر.

وقال الزمخشري: " لإيلاف قريش " أي: لمؤالفة قريش [٩].وأما قراءة النبي، صلى الله عليه وسلم، التي ذكرها ابن خالويه في مختصره " ويل أمكم قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف " فلم يقرأ بها أحد ولم أعثر عليها – فيما أعلم – فيما يدي من المصادر. أما القراءة التي رواه السيوطي في الدر المنثور فهي قراءة تفسيرية، ولذلك ذكر في الحديث الذي رواه عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: " ويل أمكم قريش " ولم تذكر أنه قرأها، بل ذكرها منفردة عن بداية السورة ووضعها بين قوسين قبل بداية السورة بلفظ: " ويل أمكم قريش " ثم ذكر السورة كما في المصحف الإمام: " لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف " أما القراءة التي ذكرها الحاكم عن النبي، صلى الله عليه وسلم، فهي مثل قراءة الجمهور وهذا يبين لنا أن قراءة السيوطي قراءة تفسيرية، وقراءة ابن خالويه لم ترد عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وكذلك محذوفة الإسناد ومخالفة لجميع الوجوه في اللغة العربية. وقال ابن الجوزي: وفي لام " لإيلاف " ثلاثة أقوال:

---

(٩) انظر: السبعة ص: ٦٩٨، والكشف جـ ٢ / ٣٨٩ / ٣٩٠، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٦ / ٢٤٤ / ٤٤٥ / ٤٤٦، والكشاف جـ ٤ / ٨٠١ / ٨٠٢، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ٣٠ / ٣٩٣ / ٣٩٤، وتفسير البحر المحيط جـ ٨ / ٥١٤ / ٥١٥، وزاد المسير جـ ٩ / ٢٣٨ / ٢٤١، والمحرر الوجيز جـ ٥ / ٥٢٥، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ٦٣١ / ٦٣٢، وإعراب القراءات الشواذ جـ ٢ / ٧٤٧ / ٧٤٨.

أحدها: موصولة بما قبلها، المعنى: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش، وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف، هذا قول الفراء والجمهور.

والثاني: أنها لام التعجُّب، كأن المعنى: أعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت، قاله الأعمش، والكسائي.

والثالث: أن معناها متصل بما بعدها. المعنى: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، لأنهم كانوا في الرحلتين آمنين، فإذا عَرَض لهم عارض قالوا: نحن أهل حرم الله فلا يُتَعرَّض لهم، قال الزجاج: وهذا الوجه قول النحويين الذين ترتضي أقوالهم (١٠).

وقال ابن جرير: والصواب من القراءة في ذلك عندي: من قرأه " لإيلافِ قريش إيلافهم " بإثبات الياء فيهما بعد الهمزة، من آلفت الشئ أُولفه إيلافاً، لإجماع الحجة من القراء عليه، وللعرب في ذلك لغتان: آلفت وألفت، فمن قال: آلفت بمد الألف قال: فأنا أؤالف إيلافاً، ومن قال: ألفت بقصر الألف، قال: فأنا آلف إلْفاً، وهو رجل آلِفٌ إلْفاً، وحُكي عن عِكرمة أنه كان يقرأ ذلك " لتَألُّفِ قريش إلْفَهُمْ رحلة الشتاء والصيف " (١١).

---

(١٠) انظر: زاد المسير جـ ٩ / ٢٣٨ / ٢٣٩.

(١١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ٣٠ / ٣٩٣.